الفصل الرابع عشر

رأي الكنيسة المسيحية المصرية في ميثاق إبراهيم مع الرب الذريعة التى إتخذت لإقامة الدولة الصهيونية وإسرائيل في العقيدة المسيحية البروتستانتينية

obeikandi.com

obeikandl.com

رأي الكنيسة المسيحية المصرية في ميثاق إبراهيم مع الرب الذريعة التي أتخذت لإقامة الدولة الصهيونية وإسرائيل في العقيدة المسيحية البروتستانتينية

من المهم جدا أن نسمع لرأى الكنيسة المسيحية المصرية فى تفسيرها لنص من نصوص العهد القديم والذى إتخذ ذريعة لاغتصاب أرض فلسطين، وإقامة دولة إسرائيل عليها، ولقد جاء هذا التفسير للنص المذكور فى ثنايا مقال للقس المصرى دكتور مكرم نجيب نشر فى جريدة الأهرام المصرية فى شهر مارس سنة ٢٠٠١، وعنوانه «فلسطين بين النبوات القديمة والأساطير الإسرائيلية المعاصرة». وأورد هنا أهم ما ذكره الكاتب فى هذا الشأن:-

ولد جيلنا مع ميلاد الكيان الإسرائيلى، وتفتحت مشاعرنا وعشنا عمرنا كله حول القضية الفلسطينية حروبا ومعاناة وتداعيات حتى الآن، وكلما تطالعنا الصحف ووكالات الأنباء بسياسات القمع الإسرائيلى فى الأرض المحتلة، وجولات المفاوضات والضغوط والتصلف، عدت بذاكرتى إلى مسار هذا الشعب فى القديم، إلى تقاليدهم وتلمودهم وانغلاقهم ثم الى الحركة الصهيونية الحديثة وإسرائيلياتهم وأساطيرهم، وكيف حاولوا ويحاولون إعلاميا وسياسيا أن يحركوا أفكارا دينية قديمة لبعض الفرق، وأن يعودوا إلى مزاعم العبرانيين القدماء التى إحتكرت الله تعالى لشعبهم المختار، وتوهموه حبيس جدران جنسهم وسلالتهم، وأنهم هم وحدهم مستودع يهوه وأن مجرى الحضارة والتاريخ يدور حول حياتهم ومصيرهم، فأغلقوا قلوبهم وعقولهم عن الدلالات الإيمانية لكلام الله، وفصلوا بين النصوص وبين اطارها الزمانى والمكانى، وسخروا النبوات المقدسة لخدمة أغراضهم السياسية وأطماعهم التوسعية.

ومن النصوص الأساسية فى العهد القديم التى ترددها أبواق الصهيونية ومن معها من فرق وجماعات غربية النص الذى نسميه الميثاق الإبراهيمى نسبة الى العهد الذى أقامه الله

مع أبينا إبراهيم عندما دعاه من أور فى جنوب العراق ليذهب إلى أرض كنعان والذى نجده فى سفر «التكوين ١٢ : ٧» ثم يتكرر عدة مرات فى نفس السفر وخاصة فى «الإصحاحات ١٥، ١٧، ٢٢» وملخص هذا الميثاق أنه يشير إلى ثلاثة أمور:- الشعب أو نسل إبراهيم الذى يكون أمة عظيمة كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر والأرض أرض الميعاد وخاصة العبارة التى وردت فى «تكوين ١٥، ١٨» لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات» وأخبره أن يكونوا بركة لجميع شعوب الأرض ونحن نعلم أن الله تعالى عندما يتكلم عن سلطانه وإرادته الصالحة للبشر يعلن ذلك من خلال كلامه على فم أنبيائه ومن خلال أعماله فى التاريخ الإنسانى لتحقيق كلامه ومقاصده، كما أن معظم النبوات القديمة التى تحدث بها الله والتى أرسلها على فم أنبيائه من العهد القديم كانت تخاطب الشعب القديم فى ظروف تاريخية معينة لتواجه حاجاتهم وأزماتهم فى هذه الظروف، وبالتالى لابد أن نبحث عن تحقيق هذه النبوات فى الإطار التاريخى لذلك الشعب قبل أن نقفز فوق النصوص والتاريخ والشعب العبرانى القديم نفسه ونربط النبوات بإسرائيل الحديثة ويعود اليهود الى أرض الميعاد الآن.

وإذا عدنا على هذا الأساس إلى الميثاق الإبراهيمى ووعود الشعب والأرض والبركة، فسوف نترك إلى حين الشعب ونركز على وعد الأرض لنرى فى بساطة ووضوح أن تاريخ العهد القديم نفسه قد حسم الأرض فى أكثر من مرحلة من مراحل هذا الشعب وهو يشير إلى الميثاق الإبراهيمى وإلى تحقيقه كاملا.

وسوف نكتفى فى هذه المراحل التاريخية بثلاث:-

الأولى فى يشوع الرجل الثانى بعد موسى النبى والذى قاد الشعب إلى امتلاك الأرض، فيقول تحديدا فى «يشوع ٢١، ٤٣، ٤٥» (**فأعطى الرب لإسرائيل جميع الأرض التى تكلم لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها ولم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار.**

والمرحلة الثانية فى أيام الملك سليمان بن داوود وهى فترة من فترات إزدهار المملكة القديمة، ونقرأ فى سفر «الملوك الأول ٤ و ٢١».

(وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر، كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون كل أيام حياته).

والمرحلة الثالثة والأخيرة هى مرحلة ما بعد السبى البابلى فى القرن الخامس قبل الميلاد، وسماح قورش الفارسى للشعب اليهودى بالعودة على أفواج، وبالفعل عاد منهم من عاد وبنو الهيكل وللمرة الأخيرة تتحقق النبوءة ونجد الكلمات القاطعات فى سفر «نحميا ٩، ٧، ٨»:-

(أنت هو الرب الإله الذى إخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين، وجعلت إسمه إبراهيم، ووجدت قلبه أمينا أمامك، وقطعت من العهد أن تعطيه أرض الكلدانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين والجرجاشيين وتعطيها لنسله وقد أنجزت وعدك الآن لأنك صادق). وهكذا إنتهت قضية النبوءة والأرض تماما.

أما قضية الشعب فبعد أيام سليمان إنقسمت المملكة إلى مملكتين، المملكة الشمالية وكانت تشمل غالبية أسباط بنى إسرائيل، وهذه تشتت وإنتهت بالسبى الأشورى فى عام ٧٢٢ ق. م.

والمملكة الجنوبية والتى أنتهت الى السبى البابلى فى عام ٥٨٦ ق. م، ثم بدأ قورش كما ذكرنا يسمح لهم بالعودة على أفواج أيام الإمبراطورية الفارسية، والتى أعادت بناء الهيكل فى عام ٥١٦ ق.م، وإستمرت بعد ذلك أيام اليونان عام ٣٢٠ ق. م وأيام السلوسيدين فى عام ١٧٤ ق.م، ثم الثورة المكابية حتى حكم الرومان إلى أن تم تدمير الهيكل تماما فى عام ٧٠ ميلادية بعد ثورة اليهود الأولى ضد روما، وبعدها بقليل قامت ثورة فاشلة أخرى كانت الضربة القاضية لهم وإنتهى تاريخ الشعب اليهودى إلى الشتات النهائى.

أما العهد الجديد فقد عاد الى الدلالة الإيمانية الكاملة للميثاق الإبراهيم، وهى التطبيق الروحى الذى يشمل كل البشر وكل من يدخل فى علاقة صحيحة مع الله ومع الآخرين، فيربط بين الدين والحياة فى أمانة ورحمة وعدل وطاعة من القلب، ولهذا يقول لهم السيد المسيح فى يوحنا (٨ و ٩، ٤٤) «لو كنتم أبناء إبراهيم لكنتم تعملون بأعمال إبراهيم، أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعطوا». ثم يأتى الرسول بولس ويعلن عن مساواة

البشر الكاملة أمام الله فيقول:- «ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولآخر، ليس ذكر ولا أنثى، إنكم جميعا واحد فى يسوع المسيح». ويضيف:- «لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به» (غلاطية ٣: ٢٨، ردمية ١٠ و ١٢).

من كل ما سبق يتضح أن دولة إسرائيل الآن والتى سبق قيامها ضغوط على تقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية عام ١٩٤٧، وقيام الكيان الإسرائيلى عام ١٩٤٨ بإعتراف فورى أمريكى سوفيتى، أقول أن دولة إسرائيل الآن لا علاقة لها على ضوء الدراسة التايخية اللاهوتية السابقة من قريب أو بعيد بالنبوءات القديمة والتى تحققت فعلا فى إطارها الزمنى فى العهد القديم، واكتملت دلالتها الروحية فى العهد الجديد، وأن كل ما يقال عن عودة اليهود الآن وربط ذلك بهذه النبوءات ثم بمجيىء المسيح ثانيا وإقامة الهيكل ومعركة هرمجدون ونهاية العالم الى آخره هو فكر قديم لبعض الفرق لا يتفق مع لاهوتنا الكتابى ولا مع عقائد الكنائس المسيحية الرسمية فى كل بلاد العالم، ولكن الأبواق الصهيونية العالمية تحاول دائما إحياء هذا التيار لخدمة أغراضها السياسية وهى مأساة كل التاريخ القديم، والحديث عندما يستغل الدين ويستخدم لصالح الأهواء والسياسات بدلا من أن يكون كما أراده الله نورا وتوجيها للبشر وللسياسات. وعليه يجب أن نتعامل مع إسرائيل كدولة وكواقع لها أن تعيش فى حدودها وأن تترك الأرض لأصحابها، وأن المفاوض الفلسطينى والعربى يستمر فى صبر ومثابرة مستندا الى الخبرة المصرية والى التيقن الكامل بأن العدالة لن تموت وقديما قالها السيد المسيح «إن يسكت هؤلاء فالحجارة تصرخ».

إسرائيل في المسيحية البروتستانتينية أو المسيحية اليهودية الأمريكية

سوف نحاول تفسير الإنحياز الأمريكى الدائم لإسرائيل والتأييد المطلق لها من كافة الجماعات والأحزاب الأمريكية فضلا عن الرؤساء ورجال السياسة ومراكز صناعة القرار، وهذا الإنحياز ليس له دوافع إستراتيجية كما يعتقد معظم المثقفون العرب، إذ يفسر الكثيرون من رجالات السياسة العرب أن سبب التهافت الأمريكى على تأييد جميع المواقف الإسرائيلية حتى ولو كانت عدوانية هو إعتبار إسرائيل بمثابة قاعدة عسكرية قوية تستطيع أمريكا أن تحمى بها منابع البترول العربية وتضمن إستمرار تدفقها، فكل من يحاول تعطيل هذا التدفق

يعمل كل حساب لقوة إسرائيل التى يعتبرها الأمريكيون ككلب حراسة يحرس مصالحهم فى المنطقة، كذلك فسروا أن إحتضان أمريكا لهذه الدولة هو تدعيم لقوة عسكرية ضاربة تستطيع ردع الحركات الثورية فى البلاد العربية فى أى وقت ودرء خطرها عن المصالح الأمريكية، ولكن هذا التفسير الإستراتيجى للإنحياز الأمريكى لم يعد كافيا خصوصا بعد أن أصبح الوجود العسكرى الأمريكى وجودا مباشرا بالقرب من آبار البترول فى السعودية والكويت والبحرين وقطر بعد إنتهاء الحرب العراقية الكويتية، كل هذه الأمور واردة وقد يكون لها ما يبررها فى وقت ما وحتى الآن، ولكن بعض الدراسات الهامة عن المجتمع الأمريكى أرجعت هذا الانحياز فى الأصل الى أصول ثقافية لاهوتية.

ويقول الرئيس الأمريكى الأسبق كارتر فى ذلك «علاقة أمريكا بإسرائيل علاقة فريدة لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى» وعن هذا الموضوع قام الكاتب المصرى الاستاذ رضا هلال بتأليف كتاب عنوانه «المسيح اليهودى» توسع فيه فى شرح هذه النظرية الإنحيازية الأمريكية الدائمة لإسرائيل على أساس دينى كنسى.

وفيه يقول إن حركة الإصلاح الدينى البروتستانتنية فى القرن السادس عشر الميلادى قد أدت الى «تهويد المسيحية»، وحمل المسيحيون من المهاجرين الأوائل إلى القارة الأمريكية مسيحية متهودة، وعندما استوطنوا أمريكا فى القرن السابع عشر اعتبروها «إسرائيل الجديدة»، وكان يصلون باللغة العبرية ويطلقون على أبنائهم أسماءاً من قصص التوراة، وكان أول كتاب طبعوه هناك هو مزامير داوود.

وبحلول القرن الثامن عشر أصبح الإعتقاد بالبعث اليهودى فى فلسطين يشكل جانبا مهما من اللاهوت البروتستانتى الأمريكى، واحتلت عقيدة (الألفية الميلية) أى عودة المسيح ليحكم العالم من صهيون فى الألف عام السعيدة مكانا بارزا فى الضمير الأمريكى، وفى أربعينيات القرن التاسع عشر (الصحوة الدينية) أطلقت المسيحية اليهودية الأمريكية حركة صهيونية مسيحية سبقت الصهيونية اليهودية التى إنطلقت فى مؤتمر بازل ١٨٩٧، وكانت تلك المسيحية الصهيونية الأمريكية سباقة الى الإستيطان فى فلسطين منذ منتصف القرن التاسع

عشر، وكان على رأس تلك الحركة المبشر البروتستانتى وليام بلاكستون الذى قدم عريضة الى الرئيس الأمريكى هاريسون طالبا تدخل أمريكا لإعادة اليهود إلى فلسطين، بل إن بلاكستون هذا قد إتخذ موقفا متشددا من هرتزل عندما عرض الأخير إقامة وطن قومى لليهود فى قبرص أو أوغندا، وأرسل له نسخة من التوراة علم فيها على صفحات منها مشيرا الى فقرات تحبذ إتخاذ فلسطين وطنا لليهود أو شعب الله المختار.

ومن هذا يتضح أن الإتجاه الصهيونى للأمريكيين يسرى فى لاهوت وثقافة أمريكا، واتضح ذلك أيضا عندما أظهر الجمهور الأمريكى حماسا بالغا عندما ظهر وعد بلفور وعند الإنتداب البريطانى على فلسطين، ثم إشتدت هذه الحماسة عند قيام دولة إسرائيل ومطالبة الأمريكيين بحماية حدود إسرائيل وتوفير الأمن الدائم لها، وضمان تفوقها العسكرى على جميع شعوب المنطقة، وهذا ما انعكس على السياسة الأمريكية حتى قبل وجود اللوبى اليهودى بعقود، وهذا يفسر أيضا صهيونية كثير من أعضاء الكونجرس الأمريكى فى ولايات ليس للصوت اليهودى فيها أثرا يذكر، كولايات الجنوب والغرب الأوسط، فإسرائيل عند الأمريكيين هى وطن الأجداد الذين تقص قصصهم التوراة والتى ألهمت الرواد الأوائل إلى إستيطان أمريكا، كما أن إستيطان إسرائيل الحديثة يشابه التجربة الأمريكية، وإسرائيل بزعمهم تشابه أمريكا فى الحرية والديموقراطية والأخلاق، ولهذا بزعمهم إعتبروا أن إسرائيل هى صورة من أمريكا.

ويمكن تفسير إنحياز الشعب البريطانى البروتستانتى وحكامه الى إسرائيل بنفس التفسير، وبريطانيا هى التى جمعت اليهود من كل مكان ووطنتهم فى فلسطين، وساعدتهم على التفوق العسكرى على سكان البلاد وطردهم من ديارهم، وحتى الآن مايزال الإنحياز البريطانى لإسرائيل شديدا، فجمعية أصدقاء إسرائيل البريطانية تضم فى عضويتها عددا كبيرا من أعضاء مجلس العموم ومجلس اللوردات على إختلاف إنتماءاتهم الحزبية، ويكفى دليلا على ذلك مفاخرة تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا الحالى على أنه عضو فى تلك الجمعية، وقد لعب الدهاء البريطانى دورا كبيرا فى صياغة قرارات مجلس الأمن التى تحتمل أكثر من تأويل بعد كل إعتداء إسرائيلى على الدول العربية أو فلسطين، وكان لبريطانيا دور

كبير فى تسليم أراضى الأوقاف الإسلامية فى فلسطين الى العصابات الصهيونية فى فلسطين لبناء المستوطنات عليها قبل قيام دولة إسرائيل، ودور أكبر فى الحملات الدولية لجمع التبرعات لإسرائيل، ولأجهزة الإعلام البريطانية الحكومية والأهلية باع طويل فى نشر الدعاية لإسرائيل وتبنى مواقفها ضد العرب.

obeikandl.com